

مقدمة

لقد كانت المسألة الأساسية التي تسيطر على منطقة الشرق الأوسط طوال عقود وتسوغها هي الصراع العربي الإسرائيلي. إذ شكل هذا الصراع مركز ثقل تدور حوله المنطقة، وأثر بشكل أساسي في السياسة المحلية العربية وكذلك في العلاقات العربية والإقليمية، وحدد السياسة الإجمالية والروابط والصلات الدولية للمنطقة.

غير أن هذا الأمر تغير في الفترة الأخيرة، إذ لم يبق الصراع العربي-الإسرائيلي الصراع الوحيد الذي يطبع المنطقة، رغم أنه لا يزال أساسيا. ومن بين أهم الأزمات أو النزاعات التي تعرفها المنطقة هي الأزمة اللبنانية، فلبنان يعاني على غرار دول الشرق الأوسط عديد الأزمات التي تهدد كيانه وأمنه باستمرار.

ومع ذلك فإن لبنان له ما يميزه سواء في علاقاته التعاونية أو الصراعية، إذ يمثل تاريخ لبنان مسرحا للحروب الأهلية والنزاعات قبل الاستقلال وبعده. وتعد أعوام الحرب المستمرة من عام 1975 حتى 1989 أطول النزاعات الداخلية في لبنان.

ولقد كان هناك توجيهين حول أسباب هذه الحرب. إذ يرد التوجه الأول الحرب في لبنان إلى أسباب داخلية تتمثل أساسا في الطبيعة المذهبية والطائفية للنظام والمجتمع اللبنانيين، في حين يعتبر التوجه الثاني أن الحرب في لبنان لم تكن إلا حرب الآخرين على أرض لبنان، فأسباب الحرب هي خارجية بالأساس.

ومع مرور الوقت أصبح من الصعب حصر أسباب الحرب الأهلية اللبنانية بما هو داخلي فقط أو خارجي فقط. ذلك أن الأسباب الداخلية والخارجية قد تشابكت فيما بينها واختلطت حتى نشأت فيما بين الاثنين علاقة سببية في الاتجاهين معا.

وانتهت هذه الحرب-التي أدت إلى استنزاف البلاد طوال 15 عاما- بتوقيع اتفاق الطائف الذي سعى إلى إرساء أسس نظام سياسي جديد مع التأكيد على إزالة الطبيعة المذهبية للسياسة والمجتمع اللبنانيين. ومع ذلك، بقي لبنان بعد الحرب مشروعا غير مكتمل لترسيخ الدولة، كما حافظت كل من سوريا وإسرائيل على وجودهما العسكري في لبنان.

1/ التعريف بالموضوع:

يندرج موضوع هذه الدراسة ضمن مواضيع تحليل النزاعات الدولية. وبالنظر إلى لبنان كنموذج للنزاعات الدولية، نشير إلى أن الموضوع قد أشارت إليه العديد من الكتب والدراسات العلمية السابقة التي سعت إلى تحديد الأسباب الكامنة وراء تفجير الأزمة اللبنانية، بيد أن جل الدراسات التي اهتمت بدراسة الموضوع تقف عند الملامح الكبرى لهذه الأزمة، أو تتخصص في تحليل جزئية معينة كدور الطائفية في الأزمة اللبنانية أو الدور السوري في لبنان، أو تدرسه كتوجه محدد كالنزاع اللبناني الإسرائيلي. لهذا فموضوع دراستنا يحاول الوقوف عند أهم محددات الأزمة اللبنانية في فترة ما بعد الطائف مع التركيز على أهم المتغيرات الداخلية والتحويلات الدولية التي أثرت في الوضع اللبناني بشكل أو بآخر. ولا تكتفي الدراسة فقط بتحديد أسباب الأزمة اللبنانية الداخلية والخارجية، وإنما تتجاوز ذلك لتدرس أهم محاولات حل هذه الأزمة.

2/ أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

إن أهمية الموضوع الذي نحن بصدد دراسته تتبع من خلال قيمة الدراسة في حد ذاتها. ومن خلال أهمية الموضوع النظرية، من حيث إلقاء الضوء على دور المحددات الداخلية والخارجية في تحليل وحل النزاعات الدولية. و بناء على الأهمية التي يتمتع بها الموضوع وقع اختياري لموضوع الأزمة اللبنانية على ضوء متغيرات البيئة الداخلية والخارجية، بالرجوع إلى اعتبارات ذاتية و أخرى موضوعية:

أ/ ن :

- موضوع الأزمة اللبنانية هو موضوع الساعة، ويحمل من المستجدات ما يجعله ميدانا خصبا للدراسة والبحث عن الأسباب وتقصي القضايا الأساسية في تحليله.
- عدم معالجة هذا الموضوع من الناحيتين النظرية والفكرية وعدم البحث عن الأسباب أو العوامل المؤثرة في الأزمة اللبنانية باتجاه التعقيد أو الحل بالأسلوب العلمي القائم على التحليل والنقد. إضافة إلى اكتفاء الدراسات أو البحوث المتعلقة بلبنان بالتركيز على واحد من العوامل الداخلية كالطائفية أو الخارجية كالعدوان الإسرائيلي أو التدخل السوري. لذا كان هذا البحث جامعا لكل العوامل الداخلية والخارجية التي لها دور في الأزمة اللبنانية بشكل أو بآخر.

ب/ الأسباب الذاتية:

رغبتي الخاصة في دراسة النزاعات الدولية، ولبنان يعتبر النموذج الأفضل لذلك إذ مر لبنان قبل الاستقلال وبعده بمراحل نزاعية كثيرة منها الحروب الأهلية (الحرب الأهلية لعام 1958 والحرب الأهلية لعام 1975) ومنها النزاع مع إسرائيل في إطار الصراع العربي الإسرائيلي في أول الأمر ليتحول إلى نزاع لبناني-إسرائيلي نتيجة احتلال إسرائيل للجنوب اللبناني. وبما أن هناك دراسات كافية للأزمة اللبنانية قبل اتفاق الطائف -خاصة الحرب الأهلية- فقد ركزت اهتمامي على الفترة التي تلت انتهاء الحرب الأهلية والتوقيع على اتفاق الطائف.

3/ الصعوبات:

لقد واجهتنا في دراستنا هذه صعوبات جمة نبعت من أن التعدد الذي يميز التركيبة المجتمعية والسياسية اللبنانية قد انعكس على تعدد الدراسات والبحوث المتعلقة بلبنان. فقلما وجدنا دراسة موضوعية تحلل أسباب الأزمة اللبنانية بمنأى عن التوجهات الطائفية والسياسية. إضافة إلى العامل الزمني حيث أننا نعيش في خضم الأحداث وصلب التطورات الميدانية التي تحد من قدرتنا التحليلية والنقدية في آن معا.

4/ إشكالية الموضوع:

إن تحليل الأوضاع السياسية للبنان ما بعد 1989 يكشف أو يقدم لنا صورة عن التحولات أو التغييرات في إطار التعديلات التي جاء بها اتفاق الطائف، الذي أنهى حالة الحرب التي دامت 15 سنة وكان من نتائجها التدمير والقتل والتهجير. ومع ذلك فإنه لم تحدث تغييرات جوهرية في الوضع اللبناني، فلم يكن إقرار وثيقة الوفاق الوطني التي تضمنت التعديلات الدستورية التي كرسها الطائف نهاية مرحلة، بل بداية مرحلة بالغة التعقيد والحساسية الداخلية.

وعلى هذا الأساس تكون إشكالية بحثنا على النحو التالي:

هل الأزمة اللبنانية في هذه الفترة (ما بعد 1989) راجعة إلى فشل وثيقة الوفاق الوطني -أو ما عرف باتفاق الطائف- في تغيير الوضع الذي كان قائما من قبل وتكريس

إصلاحات عميقة. أم أنها راجعة إلى أسباب خارجية ممثلة في تدخل عدة أطراف خارجية؟ أو بتعبير آخر: هل تكمن الأزمة اللبنانية في الداخل أو الخارج؟.

وتتفرع عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات هي:

- ما هي جذور الأزمة اللبنانية لما بعد اتفاق الطائف وما هي مصادرها الداخلية والخارجية؟.

- كيف عملت التدخلات الأجنبية على توسيع دائرة الأزمة اللبنانية؟.

- ما مدى الارتباط بين العوامل الداخلية والخارجية في الأزمة اللبنانية؟.

- كيف أثرت مختلف الأطراف الداخلية والخارجية على الوضع اللبناني باتجاه التأزم أو الحل.

فرضيات الدراسة:

إن الإجابة عن الإشكالية تتطلب مجموعة من الفرضيات كإجابات أولية يتم التأكد منها واختبارها من خلال التحليل وهي:

1- الأزمة اللبنانية هي داخلية محضة ناتجة عن الانقسامات الداخلية والنظام القائم على أساس طائفي.

2- الأزمة اللبنانية هي نتاج الاختراقات والتدخلات الخارجية.

3- الأزمة اللبنانية هي عبارة عن تقاطع بين مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية.

5/ حدود الدراسة:

تتركز دراستنا على أهم العوامل الداخلية والخارجية المؤثرة في الأزمة اللبنانية. ولما كان من الصعب علينا الإلمام بجميع تلك العوامل فقد تم التركيز على أهمها، كما تم التركيز فقط على القوى الإقليمية والدولية الأكثر تركيزا في الوضع اللبناني، ففيما يتعلق بالقوى الإقليمية ركزت الدراسة على سوريا، إيران وإسرائيل على اعتبار أنها تشترك في أن لها مؤيدين كما لها معارضين داخل لبنان، زيادة عن تأثيرها المباشر في الأزمة اللبنانية من خلال تواجدها عسكريا في لبنان، أو من خلال التأثير غير المباشر وذلك بدعم أطراف داخلية لبنانية. أما بالنسبة للقوى الدولية فقد تم التركيز على الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها القوة العظمى ونظرا للأهمية التي يحتلها لبنان في الإستراتيجية الأمريكية.

وبما أن الأزمة اللبنانية ليست أزمة واحدة، فقد تم التركيز - فيما يتعلق بمحاولات حل هذه الأزمة - على الأزمة السياسية الداخلية اللبنانية (أزمة الرئاسة 2007) وعلى النزاع اللبناني-الإسرائيلي.

6/ المقاربة المنهجية:

اتبعنا في دراستنا مقاربة منهجية مركبة تستند إلى مجموعة من المناهج، استدعتها طبيعة الموضوع وهذه المناهج هي:

المنهج الوصفي: حيث سنركز على إبراز دور العوامل الداخلية والخارجية ومدى تأثيرها على الأزمة اللبنانية أو في دفع الوضع اللبناني باتجاه التأزم أو الحل، لنعرض بعد ذلك أهم الحلول المقدمة لإنهاء الأزمة اللبنانية.

المنهج التاريخي: وهو المنهج الذي يميز أغلب الدراسات. وذلك في الحديث عن بعض المراحل من تاريخ لبنان، وهي كما تحددها الدراسة بفترة ما بعد اتفاق الطائف، مع الرجوع في بعض الأحيان إلى المراحل السابقة من تاريخ لبنان وخاصة في فترة ما بعد الاستقلال.

المنهج المقارن: حيث أننا رجعنا إلى فترات زمنية سابقة في محاولة منا لمقارنتها مع الفترة المدروسة. وذلك من خلال إبراز أهم الأسباب الداخلية والخارجية المؤثرة في الأزمة اللبنانية ومقارنتها بالأسباب التي أدت إلى حدوث الأزمات في لبنان في الفترة السابقة لاتفاق الطائف، مع التركيز على أسباب الحرب الأهلية اللبنانية 1975-1989. بالإضافة إلى بعض المناهج الأخرى التي قد تظهر وتتحدد من خلال جزئيات الدراسة وعناصرها.

7/ خطة الدراسة:

لتغطية هذا الموضوع بما يؤدي إلى الإجابة على الإشكالية والتساؤلات المطروحة والفرصيات الموضوعية، سيتم تناول الدراسة وفقاً للبناء المنهجي التالي:
تتكون الدراسة من جزأين رئيسيين، الأول نظري والثاني تطبيقي. ويتضمن كل جزء منهما فصلين.

الإطار النظري يتضمن مسحا لظاهرتي النزاع وحل النزاع في العلاقات الدولية. إذ يتطرق **الفصل الأول** إلى الإطار المفهوماتي والنظري للنزاع. وذلك لأن موضوعنا هذا يتطلب تحديد المفاهيم بداية بالنزاع، الأزمة، الحرب والتوتر وتبيان الفرق بينها، حتى نستطيع وضع الدراسة في إطارها الصحيح.

مع التركيز في هذا الفصل على تبيان أو تحديد أهم العوامل الداخلية والخارجية الخارجية التي تؤثر في مسار نزاع ما. والتطرق إلى أهم النظريات المفسرة للنزاع بداية بالنظريات الجزئية للنزاع (نظرية فطرة العدوان-نظرية التعلم الاجتماعي- نظرية إحباط العدوان-) وصولاً إلى النظريات الكلية للنزاع (الواقعية- الليبرالية- البنائية).

وبعد تعريف النزاع وتحديد أسبابه أو العوامل المؤثرة فيه وتفسير حدوثه من خلال مجموعة معتبرة من النظريات. يأتي **الفصل الثاني** ليركز على عملية حل النزاعات، فيشرح الفرق بين عملية حل النزاع والعمليات الأخرى التي تستهدف إنهاء النزاع كإدارة النزاعات وإدارة الأزمات وتسوية النزاعات. ليعرض في مقام ثانٍ أهم الوسائل السلمية المتبعة في حل النزاعات الدولية؛ السياسية والدبلوماسية والقانونية. ثم يشرح في مقام أخير أهم المقاربات النظرية التي عالجت مسألة حل النزاعات الدولية (نظرية الاحتياجات الإنسانية- نظرية النزاع الاجتماعي المتأصل).

أما **الجزء الثاني التطبيقي** فيعرض أهم العوامل المؤثرة في الوضع اللبناني باتجاه التأزم أو الحل.

إذ يتضمن **الفصل الأول** شرحاً وتحديداً لأهم العوامل الداخلية المؤثرة في الأزمة اللبنانية لما بعد اتفاق الطائف وهي الموقع الجغرافي والتركيبية السكانية، العوامل السياسية والاقتصادية. ثم تحديد العوامل الخارجية مع تبيان دور القوى الإقليمية والدولية التي لها دور في الأزمة اللبنانية في الفترة المدروسة وهي سوريا، إيران، إسرائيل، الولايات المتحدة الأمريكية.

أما **الفصل الثاني** فيتضمن أهم المحاولات الداخلية الرسمية وغير الرسمية لحل الأزمة اللبنانية، ثم يعرض مساعي الدول والمنظمات الدولية (الجامعة العربية، هيئة الأمم المتحدة) لحل الأزمة اللبنانية.